

الزرع والإنسان في القرآن الكريم

د. محسن عبدالعظيم الشاذلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه ومن وآله ، وبعد..... ،

فالزرع نعمة كبرى من نعم الله ﷺ على عباده، النظر إليها يشرح الصدور، والتفكر فيها يهدي إلى خالق الكون ومدبره، والأكل منها يوجب شكر المولى ﷺ على إيجادها.

وحين كان القرآن ينتزل بمكة المكرمة على رسولنا محمد ﷺ كان كثيراً ما يدعو الناس إلى التفكير في آيات الله ومنها الزرع الذي يروونه من حولهم : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ﴾ ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ والآيات في هذا الأمر كثيرة.

وقد جرت عادة الناس على حب الزرع وتأمله، حتى كان جزاء المحسنين منهم في الآخرة جنة، وما الجنة ؟ إنها الزرع الكثير الشجر، المستتر ببعضه من كثرته.

كما جرت عادة علماء التفسير على استخراج الموضوعات القرآنية والنظر فيها للخروج برسالة إلهية قد أودعت للبشر فيها. وجمعاً بين العادتين اخترت موضوع (الزرع) في القرآن الكريم ؛ للنظر فيه ؛ للخروج برسالة وجهها الله ﷺ للبشر من خلاله.

جعلته في مقدمة وثلاثة مطالب..

تكلت في المقدمة عن تعريف الزرع عموماً، ووضعت فيها ما أحصيته من كلمات قريبة من معنى الزرع، ذاكراً مع كل كلمة تعريفها، والآيات القرآنية التي وردت فيها، أتبعته هذا بذكر الكلمات المقابلة للزرع وما في معناه سالكاً في ذلك السبيل المتقدم.

المطلب الأول : تكلمت فيه عن قيمة الحديث عن الزرع وأهميته، ذاكراً مع كل قيمة ما يدل على أصالتها من القرآن الكريم.

المطلب الثاني : تكلمت فيه عن حقائق قررها القرآن -تصريحاً أو تلميحاً- في الزرع، ذكرت في ذلك عشر حقائق، مقررراً كلا منها بأدلتها.

المطلب الثالث : عقدت فيه موازنة بين الزرع وبين البشر في الألوان والطباع مستندلاً على ما قررته بالقرآن الكريم.

أسأل المولى ﷻ أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو نسيان، وأن يجعله نوراً لوالدي في قبريهما. اللهم آمين. آمين.

أمين. والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

تقتضى طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أتكلم عن ورود مادة (زرع) وما في معناها وما يضادها في القرآن لكريم.. وذلك على النحو لتالي :

أولاً : ورود مادة زرع في القرآن :

الزرع : وردت مادته في القرآن الكريم ١٤ مرة (منها مرتان بصيغة الفعل المضارع {تزرعون، تزرعونه}، واثنان بصيغة اسم الفاعل {الزراع، الزارعون} والبقية بصيغة الاسم {الزرع} الذي جاء مرتين في صورة الجمع وثمانيا في صورة المفرد)

تعريفه : "قال الخليل أصل الزرع التنمية، وكان بعضهم يقول الزرع طرح البذر في الأرض والزرع اسم لما نبت " (١)

قلت : لعل إطلاقهم الزرع على طرح البذر في الأرض (الذي هو معنى الحرث) من المجاز الذي علاقتة اعتبار ما سيكون، وقد سمي الله ﷻ الحارث زارعاً في قوله (يعجب الزراع)،

أما الإطلاق الثاني (وهو أن الزرع اسم لما نبت) فهو على الحقيقة، وقد فرق ﷻ بين الحرث والزرع في قوله ﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ !!؟ أي : أنتم تنبتونه أم نحن ؟.

** ومن تتبع استخدام القرآن لمادة زرع يمكن أن نقول إن الزرع هو اسم لكل كائن حي كان أصله من الأرض.

فكل ما دبب فيه الروح وكان أصله من الأرض صح إطلاق اسم الزرع عليه.

وعليه.. فيخرج من التعريف الجمادات ؛ لأنها لا روح فيها، والملائكة ؛ لأن أصلهم النور، والجن ؛ لأنهم من نار. ويدخل فيه الإنسان دخولاً أولياً ؛ لأنه من الطين.

ثانياً : المصطلحات القريبة من معنى الزرع :

١ - النبات في الأصل : ما يخرج من الأرض على صفة النمو.

(١) مقاييس اللغة - (٣ / ٥٠)

والمنبت : الأصل.
وردت مادته في القرآن الكريم ٢٧ مرة، ورد الاسم(النبات) في تسع منها،
وفي الباقي وردت صيغة الفعل (الماضي ١٣ مرة، والمضارع ٥ مرات
فقط)
وقد ذكر أهل التفسير أن النبات في القرآن على أربعة أوجه : -
أحدها : **النبات بعينه.** ومنه قوله ﷺ في المؤمنون: (تنبت بالدهن) وفي
عبس : (فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً).
والثاني: الإخراج : ومنه قوله تعالى في البقرة : (كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل)

والثالث : الخلق. ومنه قوله تعالى في سورة نوح : (والله أنبتكم من
الأرض نباتاً)، قال الألوسي " أي أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء
لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لكونه محسوساً " (١)
فإن قيل : كيف قال الله ﷻ : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ولم يقل إنباتاً
فالجواب أن المعنى : والله أنبتكم من الأرض فنبتم نباتاً فيكون مصدر
المحذوف مقدرأً. ومثله : (وأنبتها نباتاً حسناً)، (أي : فنبتم نباتاً حسناً).
الرابع : التربيّة، سواء كانت محسوسة بالطعام والشراب ونحوهما أو
معنوية بالتقويم والتوجيه والإرشاد،
ومنه قوله ﷻ في آل عمران : (وأنبتها نباتاً حسناً)، قال ابن عباس
كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام. وقال قتادة في هذه الآية :
حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب.

٢- الثمر : وردت مادته في القرآن الكريم ٢٤ مرة (مرتان منها فقط
بصيغة الفعل الماضي {أثمر} والبقية بصيغة الاسم {ثمر}، الذي جاء مرة
واحدة مفرداً {ثمرة} وأربع مرات مضافاً {ثمره} وفي البقية جمعاً، نُكِرَ
مرتين {ثمرات} وعرّف في الباقي بالإضافة أو ب{ال}.
والثمر حَمْلُ الشَّجَرِ وأنواع المال، والولد ثَمْرَةُ القلب، وفي الحديث أن
رسول الله ﷺ قال ﴿ إذا مات ولد العبد المؤمن، قال الله للملائكة : قبضتم ولد

(١) تفسير الألوسي [٢١ / ٣٢٠].

عبدى ؟ قالوا نعم. قال : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ قالوا نعم. قال : فما قال ؟ قالوا
استرجع وحمدك. قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ﴿١﴾ قيل
للولد ثمرة ؛ لأن الثمرة ما ينتجها الشجر والولد ينتجها الأب ﴿٢﴾

٣- الحرث : وردت مادته في القرآن الكريم ١٤ مرة :
وهو اسم لكل ما ذللته من الأرض لتزرع فيه. ويقال لأول الغرس والبذر
إلى حيث بلغ : حرث. وقال ابن فارس : الحرث : الجمع. وبه سمي الرجل
حارثا.

وفي الحديث : (احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا).
والمرأة : حرث الرجل. لأنها مزدرع ولده ويقولون أحرث القرآن أي [:
أكثر تلاوته.

وذكر أهل التفسير أن الحرث في القرآن على ثلاثة أوجه : -
أحدها : الثواب، ومنه قوله ﷺ في الشورى : (من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها).
والثاني : الأرض المحروثة، ومنه قوله تعالى في البقرة : (تثير الأرض
ولا تسقي الحرث)، وفيها : (ويهلك الحرث والنسل).
والثالث : منبت الولد، ومنه قوله تعالى [في البقرة] : (نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم أنى شئتم).

٤- إحياء الأرض : وردت مادته في القرآن الكريم ١٦ مرة.
وقد ورد هذا التعبير مقترنا بالكلام عن إحياء القلوب بالدين، كما في قوله
ﷺ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا
يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)، وفي هذا الربط لفتة نتكلم عنها فيما بعد إن شاء الله.

(١) صحيح ابن حبان - (٧ / ٢١٠)

(٢) لسان العرب [٤ / ١٠٦] بتصرف.

(٣) [الحديد: ١٦، ١٧]

٥- الإخراج وردت مادته في القرآن الكريم -متعلقة بإخراج النبت من الأرض- ٢٦ مرة،

وهي في كثير من هذه المواطن أيضا تأتي مقترنة بذكر البعث، كما في قوله ﷻ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَالًا سُفِنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقوله ﷻ ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَٰلِكَ نَخْرُجُونَ ﴾ (٢) وقوله ﷻ ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٣)

٦- الأكل: وردت مادته في القرآن الكريم سبع مرات.

٧- الجنى: وردت مرتين ﴿ رطبا جنيا ﴾، ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ ومعناه: " ما يُجْنَى من الشجر.. ابن سيده: و الجنى كل ما جنى حتى القطن والكمأة واحده جناة... و أجنت الأرض: كثر جناها وهو الكلال والكمأة ونحو ذلك. و أجنى الثمر أي أدرك ثمره. و أجنت الشجرة إذا صار لها جنى يُجنى فيؤكل. و الجنى: الثمر المجتنى ما دام طريا. وفي التنزيل العزيز: { تُساقط عليك رطبا جنيا } ". (٤)

(١) [الأعراف: ٥٧]

(٢) [الزخرف: ١١]

(٣) [لق: ٩ - ١١]

(٤) [لسان العرب [١٤/ ١٥٣]

• الفرق بين النبات وبين الزرع والفرق بين الثمر وبين الأكل

(النبات أعم من الزرع، إذ يطلق على كل ما خرج من الأرض سواء كان للإنسان دخل فيه أم لا، أما الزرع فهو ما كان للإنسان فعل فيه بالحرث والتعهد ونحوه.

والثمر أعم من الأكل : فهو كل ما تنبتة الأشجار سواء كان مأكولاً أم غير مأكول، والأكل هو ما يؤكل من الثمر .

وقد يقال إن الثمر والجنى والأكل مراحل متوالية، فالثمر اسم لنتاج الزرع منذ بدوه، فإذا نضج صار جنى، فإذا جمع من شجره صار أكلاً).

ثالثاً : الكلمات المقابلة لمادة زرع وما في معناه :

١- البوار : وتدور مادته على خلو الشيء من النفع أو هلاكه، وإذا قيل في الأرض كان معناه الأرض التي لا تنبت زرعاً. (١)
وقد وردت مادته في القرآن خمس مرات.

تنصرف في اثنتين منها إلى الحديث عن الناس، وذلك في قوله ﷺ ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (٢) وقوله ﷺ ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (٣). مما يعطينا إشارة قرآنية إلى وجود صفة مشتركة بين الناس وبين الأرض، نتكلم عنها -وعن غيرها- إن شاء الله لاحقاً!!.

٢- الصريم :

يقال : "صرم النخل والشجر والزرع يصرمه صرماً و اصطرمه : جزه. و الصرام : قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة " (٤)

(١) لسان العرب [٤/ ٨٦]

(٢) {الفرقان ١٨}

(٣) {الفتح ١٢}

(٤) لسان العرب - (١٢ / ٣٣٨)

وقد وردت مادته في القرآن ثلاث مرات، اجتمعت في سورة القلم ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ ائِدُوا عَلَي حَرثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾ (١).

٣- الحصيد:

ومادته تطلق على معان، منها: "أسافل الزرع التي تبقى لا يتمكن منها المنجل"، ويقال للنبات "الذي قد جف وهو قائم" (٢) وقد وردت مادته في القرآن ست مرات.

استعمل في ثلاث مرات منها مع الزرع، في قوله ﷺ ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وقوله ﷺ ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُّوهُ فِي سَنَبَلِهِ ﴾، وقوله ﷺ ﴿ وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبْرُكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾

ومع الناس في الثلاث الأخريات، في يونس: {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا}، وهود: {مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ}، والأنبياء: {جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}. وهذا التنوع في الاستعمال يشير إلى أمر مهم، نتكلم عنه لاحقاً.

٤- الهشيم:

وهو "النبت اليابس المتكسر، والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء" (٣).

(١) [القلم: ١٧ - ٢٢]

(٢) لسان العرب ٣/١٥١

(٣) لسان العرب - (١٢ / ٦١٢) وقد يفرق بين الحصيد والهشيم بأن الأول في ما لا ساق له كالقمح والأرز والثاني في ما له ساق من الأشجار.

وقد وردت مادته مرتين، في الكهف : (فأصبح هشيماً) وفي القمر : (كهشيم المحتظر). ونلاحظ هنا أيضاً، أن الموطن الأول ورد في الحديث عن الزرع، والموطن الثاني ورد في الحديث عن الناس. فتأمل وانتبه !!

٥- الحطب :

وهو ما أعد من الشجر شيبوباً للنار، فأصله اليباس من الزرع. وقد وردت مادته في القرآن مرتين، قال ﷺ ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾، وقال ﷺ ﴿ وامراته حمالة الحطب ﴾ .

٦- الحطام :

وهو ما بقي من نبات عام أولٍ ليبسِهِ وَتَحَطَّمِهِ ويقال لليابس من البقل إذا تَكَسَّرَ حطاماً (١).

وقد وردت مادته في القرآن ست مرات، قال ﷺ ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) و قال ﷺ ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ (٣) و قال ﷺ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣) أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ (٤) و قال ﷺ : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (٥) و قال ﷺ ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴾ (٦).

(١) لسان العرب [١٢ / ١٣٧] بتصريف.

(٢) [النمل: ١٨]

(٣) [الزمر: ٢١]

(٤) [الواقعة: ٦٣ - ٦٥]

(٥) [الحديد: ٢٠]

(٦) [الهمزة: ٤ - ٦]

المطلب الأول

قيمة الحديث عن الزرع وأهميته

تتجلى أهمية الحديث عن الزرع فيما يلي :

• أولاً : الامتنان بالمزروعات على اختلاف صورها في القرآن.
قال ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

يذكر الله ﷻ عباده في هذه الآية بنعمه عليهم "بأن جعل لهم الأرض فراشا، أي: مهذا كالفراش مُفَرَّرة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، { وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } وهو السقف، وأنزل لهم من السماء ماء في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد؛ رزقاً لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن. ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا (٣) وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غيره " (٣)

(١) البقرة ٢١، ٢٢.

(٢) [غافر: ٦٤]

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤

والملاحظ في هذه الآية وفي مثيلاتها أن المنة من الله ﷻ على عباده لم تكن بمجرد إرسال السحاب بالماء، بل بما يحدثه نزول الماء على الأرض من إخراج نباتها، وإحيائها بعد موتها... اقرأ معي قوله ﷻ :
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا... ﴾ (١)

وقوله ﷻ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ (٢)

وقوله ﷻ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) وقوله ﷻ ﴿ لَذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٤) وكذا قوله ﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥)

وقوله ﷻ ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ

(١) البقرة: ١٦٤

(٢) إبراهيم: ٣٢

(٣) النحل: ١٠، ١١

(٤) طه: ٥٣

(٥) الحج: ٦٣

وَصَبِغٌ لِلْأَكْلِينَ ﴿١﴾ وغيرها كثير، وقعت المنة فيه بإخراج النبات من الأرض بالماء وليس بمجرد إنزال الماء من السماء.

• ثانياً : الجنة = الزرع !!!

وقد جعل الله ﷻ الجنة ثوابا للطائعين، والجنة "الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنان، وقال أبو علي في التذكرة لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنبٌ فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع، والجنة هي دار النعيم في الدار الآخرة من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها " (٢)

قال ﷻ : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٣)

وقال ﷻ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَاتٍ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٤)

وقال ﷻ : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (٥)

(١) المؤمنون: ١٨ - ٢٠

(٢) لسان العرب [١٣/ ٩٢]

(٣) [الرحمن: ٤٦ - ٥٢]

(٤) [الرحمن: ٦٢ - ٦٨]

(٥) [الواقعة: ٢٧ - ٣٣]

وقال ﷺ : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) ﴾ (١)

ولتسمية جزاء المؤمنين في الآخرة بهذا الاسم وإعداد هذه الخيرات فيه دلالة قوية على قيمة الزرع وكبير أهميته.

• ثالثاً : الزرع دليل على وجود الله وقدرته :

أما أنه دليل على وجود الله ﷻ فذلك أن الزرع كان موجوداً قبل وجود الإنسان، والأدلة على ذلك كثيرة، نكتفي منها بقوله ﷻ في سورة فصلت : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَنْكُفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلنَّاسِ لِلسَّائِلِينَ ﴾ ومعنى (وبارك فيها) "أنبت شجرها" (٢)

قال ابن جرير رحمه الله -بعدما ساق اختلاف أهل العلم في معنى (وقدر فيها أقواتها)- والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) أنه قدر فيها قوتاً دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصريف في البلاد لما خصّ به بعضاً دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن البحر من المأكّل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدر في الأرض أقوات أهلها" (٣)

(١) [الإنسان: ١٢ - ١٤]

(٢) تفسير الطبري [٢١ / ٤٣٤]

(٣) تفسير الطبري [٢١ / ٤٣٧]

وإذا كان الزرع موجوداً قبل وجود الإنسان فمن أوجده؟ إنه الله.
 وأما أن الزرع دليل على قدرة الله ﷻ، فهو عجز الإنسان نفسه عن إخراج الزرع من الأرض، كما أشار إلى ذلك قوله ﷻ ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ وقوله ﷻ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣) أَلَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿

• رابعاً: الزرع من نعيم أهل الجنة:

وقد صور لنا هذه الحقيقة القرآن الكريم في قوله ﷻ ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ وفي قوله ﷻ ﴿ قطوفها دانية ﴾، والجنى والقطف من مراحل الزرع في الدنيا.

على أنه قد وردت الإشارة إلى هذا المعنى في ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية ﴿ أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع. فقال له: ألسنت فيما شئت؟ قال بلى، ولكني أحب أن أزرع. قال: فبدر فبدر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال. فيقول الله: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشيعك شيء. فقال الأعرابي والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبي ﷺ ﴾ (١)

• خامساً: كثرة ذكر أسماء المزروعات في القرآن الكريم:

والمزروعات عموماً نوعان (ما لا ساق له، وما له ساق) وقد جمع الله ﷻ النوعين إجمالاً في آية واحدة قال ﷻ ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ قال ابن كثير رحمه الله "قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: { والنجم } بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني

(١) صحيح البخاري - (٢ / ٨٢٦)

من النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، والسدي، وسفيان الثوري. وقد اختاره ابن جرير رحمه الله " (١).
وقد ذكر ﷺ في القرآن الكثير من أصناف النوعين:

فذكر من الأول : الحب، والقمح (السنابل)، والريحان، والأب ، والبقل والفتاء والفوم والعدس والبصل، والزنجبيل. (٢)

وذكر من الثاني : النخل والعنب والزيتون والسدر والرمان والتين والطلح (الموز) والكافور.
كما سمي الله ﷺ سورة من القرآن باسم فاكهة، هي سورة (التين).

• سادساً : حب رؤية الزرع فطرة في الناس :

قال ﷺ ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٣) قال ابن كثير : " { وَالْحَرْثُ } يعني: الأرض المتخذة للغراس والزراعة .

(١) تفسير ابن كثير [٧ / ٤٨٩]

(٢) هذا الترتيب لذكر المزروعات من (النجم) على حسب كثرة ورودها، فلأن الحب ورد أكثر من غيره، ذكرته أولاً، ثم ذكرت بعده ما يليه في عدد مرات لورود. وكذلك فعلت في ذكر (الشجر) بعد ذلك.

(٣) آل عمران: ١٤

أخرج الإمام أحمد عن سويد بن هُبيرة، عن النبي ﷺ قال: "خَيْرُ مَالٍ امْرِئٍ لَهُ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ، أَوْ سِبْغَةٌ مَأْبُورَةٌ"^(١) (المأمورة : الكثيرة النسل، والسبغة: النخل المصطف، والمأبورة: الملقحة)^(٢).

ولذلك كان النظر إلى النبات الرطب عموماً، والمثمر خصوصاً، راحة للنفس ومدعاة للتأمل؛....

أولاً : لاختلاف طعمه وأشكاله، كما قال ﷺ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَثْرَاكِيًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) وقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾^(٤) وقال ﷺ ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴾^(٥)

وثانياً : لاختلاف ألوانه، كما قال ﷺ ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾^(٦)،

(١) المسند (٤٦٨/٣) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٦٤/١٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٧/٧) من طريق مسلم بن بديل به، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٥): "رجال أحمد ثقات".

(٢) تفسير ابن كثير [٢٢/ ٢] بتصرف.

(٣) [الأنعام: ٩٩]

(٤) [الأنعام: ١٤١]

(٥) [الرحمن: ١٠ - ١٣]

(٦) [النحل: ١٣]

وثالثاً : لوقوف الإنسان أمام هذا الخلق عاجزاً منبهرًا بقدره الله ﷻ كما قال ﷻ ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (١).

ورابعاً : لرؤية الإنسان نفسه فيه، فكل واحد من الناس شبيه بالزرع، فإذا نظر إلى برعم صغير ذكر طفولته وأطفاله الصغار، وإذا رأى نبتة قوية قد بدا نورها ذكر صباه وشبابه، وإذا رأى نبتة صفراء منحنية ضعيفة ذكر شيخوخته... !!!

فما أشبه الإنسان بالزرع في مراحل نموه...
ولك أن تتأمل قول الله ﷻ في الإنسان ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ﴾،
ثم تأمل قوله ﷻ في حق الزرع ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (٢)

فالنبات في الآية-وهو تعبير عن أولى مراحل الزرع- يقابل مرحلة الضعف الأولى في الإنسان، ثم الهياج في الزرع يقابل مرحلة القوة، ثم الاصفرار في الزرع يقابل مرحلة الضعف، ثم الحطام في النبات يقابل الموت في الإنسان!! والجدول التالي يصف تقابل المراحل وأحوالها في الزرع وفي الإنسان..

(١) [النمل: ٦٠]

(٢) [الحديد: ٢٠]

م	المرحلة	مظهرها في الزرع	مظهرها في الإنسان
١	الضعف الأول	النبت	الطفولة
٢	القوة	الهباج	الشباب
٣	الضعف الثاني	الاصفرار	الشيخوخة
٤	النهاية	الحطام	الموت

وإني لأجدني مضطرباً في هذا البحث- أن أقرر هذه الحقيقة التي تمثل خلاصة البحث، برسم صورتين متوازيتين للزرع وللإنسان من خلال بيان حقائق أتت بها آيات القرآن الكريم، فأقول وبالله التوفيق :

المطلب الثاني الحقائق التي قررها القرآن في الزرع

١. الزرع الحقيقي هو الله :

وهذه هي الحقيقة الأولى في هذا الأمر، وهي أولى الصفات المشتركة بين الزرع وبين البشر.

فالله ﷻ هو الذي يخرج النبات من الأرض: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (٢)

وهو الذي أخرجنا من الأرض : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (٣)
﴿ وَهُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤)

فنحن -البشر- والزرع أخوان لأم واحدة هي الأرض !!
وهذا ينبهنا إلى أمرين / الأول : أنه ليس للإنسان كسب في مسألة الزرع / أو الإنجاب إلا أن يضع البذرة (النطفة) في الأرض (المرأة) ويأخذ في أسباب نمائها، أما تكوينها داخل الأرض -وكذا داخل

(١) [الأنعام: ٩٥]

(٢) [الواقعة: ٦٣ - ٦٧]

(٣) [نوح: ١٧، ١٨]

(٤) [المؤمنون: ٧٩]

الرحم- وخروجها، وإزهارها، واستوائها على ساقها، وبدو ثمرتها، ونضجها، وما إلى ذلك... فكله من فعل الله وبأمره ﷺ. الثاني : أن تسمية الناس بعض النباتات (نباتات شيطانية) خطأ يقدر في العقيدة ؛ لأنهم ينسبون -زوراً- ما خلقه الله إلى الشيطان، ويصدق فيهم قوله ﷺ ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾.

٢. الخلق كالزرع :

وهذه هي الحقيقة الثانية التي لفت القرآن النظر إليها في أكثر من مناسبة، فقد أشار إلى وحدة الأصل بين كل المخلوقات في قوله ﷺ ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾، ثم أكد هذه الوحدة بين الزرع وبين الإنسان فقال ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَاسِيَّ كَثِيرًا..... وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (١) فالماء -مع اختلاف طبيعته- أصل كل المخلوقات ومنها النبات والإنسان !!

وبعد الحديث عن مراحل خلق الإنسان في سورة الحج تعرج الآيات على خلق الزرع ومراحل تطوره، في إشارة إلى التشابه بين الخلقين : قال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٢)

(١) [الفرقان: ٤٨ - ٥٤]

(٢) [الحج: ٥]

ثم في تفصيل، ما أروعه، يرسم الله ﷻ صورة متطابقة لخلق الإنسان وخلق
الزرع، إذ يقول ﷻ ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ
نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ
أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا
صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَنْبًا
وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿ (١)

فبداية خلق الإنسان من ماء، أنزله الله ﷻ من صلب الرجل، في مكان مقدر
هو الرحم، إلى قدر مقدر، هو مدة الحمل، ثم يخرج للحياة، فيسير فيها حتى
ينتهي أجله،

وكذلك بدأت حياة النبات... ماء أنزله الله ﷻ من السماء، في مكان
مقدر من الأرض، إلى قدر معلوم، ثم يخرج للحياة فيكون فيها حتى ينتهي
أجله !!

يقول صاحب الظلال رحمه الله : " هذه هي قصة الطعام. كلها من إبداع
اليد التي أبدعت الإنسان. وليس فيها للإنسان يد يديها، في أية مرحلة من
مراحلها.. حتى الحبوب والبذور التي قد يلقيها هو في الأرض.. إنه لم
يبدها، ولم يبتدعها. والمعجزة في إنشائها ابتداء من وراء تصور الإنسان
وإدراكه. والتربة واحدة بين يديه، ولكن البذور والحبوب منوعه، وكل منها
يؤتى أكله في القطع المتجاورات من الأرض. وكلها تسقى بماء واحد،
ولكن اليد المبدعة تنوع النبات وتنوع الثمار؛ وتحفظ في البذرة الصغيرة
خصائص أمها التي ولدتها فتنتقلها إلى بنتها التي تلدها.. كل أولئك في خفية
عن الإنسان! لا يعلم سرها ولا يقضي أمرها، ولا يستشار في شأن من
شؤونها.. (٢)

(١) [عبس: ١٧ - ٣٢]

(٢) في ظلال القرآن [٧/ ٤٦٥]

على أن الصورة المرسومة لا تنتهي عند هذا الحد لكن لها بقية نذكرها في مكانها إن شاء الله.

٣. عوامل الفساد بين الناس والزرع :

أولاً : العوامل المـؤثرة فـى النـبـات :
تؤثر العوامل سلباً أو إيجاباً على النبات، والعوامل فى القرآن هى:
-الماء وهو إما أن يزيد المحصول إذا كان كافياً فى صورة وابل، وإما أن ينقصه إذا كان فى صورة ظل يضمن استمرار حياته، وفى هذا قال تعالى فى سورة البقرة "كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فظل" .
وإما أن يهلكه إذا كان فى صورة طوفان أو سيل كما حدث مع قوم فرعون مصداقاً لقوله فى سورة الأعراف "فأرسلنا عليهم الطوفان" وكما حدث مع قوم سبأ وفيهم قال تعالى فى سورة سبأ "فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين" فالتبديل يدل على هلاك الزرع الأول وحرثهم غيره.

-الريح وهى تتلف الزرع إذا كان فيها صر أى ضرر، ودرجة التلف تتفاوت من ريح لأخرى مما فيها الضرر، وفى هذا قال تعالى فى سورة آل عمران "مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته."

-النار التى فى الإعصار أى فى المطر وهذه تحرق النبات مصداقاً لقوله تعالى فى سورة البقرة "أبود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت."

-الجراد وهو حشرات طائرة تأكل الثمار والزرع وفيها جاء قوله تعالى فى

سورة الأعراف "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والدم آيات مفصلات
".

ثانياً: العوامل المؤثرة في الناس :
ولو أردنا أن نترجم هذه العوامل المؤثرة على النبات إلى ما يقابلها في
دنيا الناس لقلنا :

أولاً: إن الماء الذي يحتاج إليه النبات -بقدر- لنمائه ولو زاد أو نقص لأثر
سلباً فيه، يقابله في دنيا الناس المال، يحتاجه الناس -بقدر- لمعايشهم، ولو قل
-فأوقع الإنسان في فقر مدقع- أو كثير -فأطغاه- لأفسد عليهم حياتهم ﴿ ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده
خبير بصير ﴾، وكما أن حاجة الزرع إلى الماء تختلف من زرعة إلى
أختها، فكذلك حاجة الناس إلى المال تختلف من شخص لآخر ﴿ أو لم يروا
أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ ؟.

ثانياً: الريح التي إذا اشتدت أتلفت الزرع، يقابلها في دنيا الناس الفتن
والبلاءات، فكما أن صبر النبات على الريح بقدر ثباته في الأرض، فكذلك
صبر الناس على الفتن والبلاءات يكون على قدر يقينهم وعزيمتهم.

ثالثاً: النار التي تؤذي الزرع لا محالة، تقابل -في دنيا الناس- الشهوات
الكامنة في الإنسان (شهوة الكلام، والسمع والنظر والفرج وحب المال...
إلى آخره) وهو إن نجا من واحدة وقع في الأخرى ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

رابعاً: الجراد الذي لا يدع في الزرع خيراً، يساوي في دنيا الناس
الشياطين وأصحاب السوء، الذين يحومون حول الرجل.. فإن نسي الله لم
يذكروه وإن ذكر لم يعينوه ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتِنَا ﴾.

٤. الأولاد كالزرع :

وهذا أمر بديهي، بعد تقرير الحقيقة الثانية، فإذا كان كل الخلق ككل الزرع،
فإن أفراد الخلق كأفراد الزرع.

يشير إلى هذه الحقيقة قوله ﷺ ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتُكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ﴾^(١) والحرث هو موضع الإنبات، فإذا سميت المرأة بذلك فتسمية ما يخرج منها، وهم الأولاد، بالزرع أمر منطقي.

وبهذه الصورة صور الله ﷻ رعايته للسيدة مريم عليها السلام، فقال :
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾^(٢).

٥. المؤمن كالزرع :

وهذا تمثيل خاص للمؤمنين في الكتب السماوية، ذكره الله ﷻ في القرآن فقال : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾^(٣)

وإذا كان الله ﷻ قد شبه بعض من أهلكهم من الكفار بالنخل الميت فقال :
﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٤)، وقال : ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٥)
فإن هذه إشارة إلى تمثيل المؤمن بالنخل القائم على سوقه، يؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ ﴾^(٦).

وفي قوله ﷻ ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا.. ﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله " والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها

(١) [البقرة: ٢٢٣]

(٢) [آل عمران: ٣٧]

(٣) [الفتح: ٢٩]

(٤) [القمر: ٢٠]

(٥) [الحاقة: ٧]

(٦) صحيح البخاري [١/ ٢٢]

ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين " (١).

٦. الأعمال كالزراع :

وقبل أن نقرر هذا المعنى نطرح سؤالاً -ربما يقفز إلى الأذهان- يقول : إن الأعمال يقوم بها البشر الذين هم في أصلهم زرعة الله، فتسمية الأعمال زراعة وتسمية القائمين بها زراعة أمر مستغرب ؟ والجواب : من وجهين : الأول : أن الأمر لا يعدو كونه تشبيهي، كان المشبه به فيهما واحداً، وهذا لا يعني تساوي المشبهين في التشبيهيين في درجة واحدة ورتبة واحدة. الثاني : أن اختلاف الجهة في الإنسان ينفي الغموض الواقع في المعنى، فهو بالنسبة إلى خالقه ﷻ زرع، وبالنسبة إلى عمله زارع، فلا تعارض بين كون الإنسان وعمله زرعاً.

ونعود الآن إلى تقرير هذه الحقيقة (أن الأعمال كالزراع) كما قررها القرآن، لنجد أن الله ﷻ شبه أعمال الناس عموماً بالزراع في قوله ﷻ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢)

قال ابن كثير رحمه الله " { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ } أي: عمل الآخرة { نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ } أي: نقويه ونعينه على ما هو بصدده، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، إلى ما يشاء الله { وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همّة البتة بالكلية، حَرَمَهُ اللهُ الْآخِرَةَ، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل

(١) تفسير ابن كثير [٤/ ٤٩٣]

(٢) [الشورى: ٢٠]

له لا هذه ولا هذه، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة" (١).

ونقل الرازي رحمه الله عن الزمخشري قوله "إنه تعالى سمي ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثاً على سبيل المجاز" (٢)

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى القول بأن الرؤيا التي رآها الملك على عهد سيدنا يوسف عليه السلام قد تكون من هذا القبيل، ففي تأويلها أن ثمة زمناً يتسع للعمل والغرس والادخار، يتبعه زمن آخر لا عمل فيه، إنما يجني الإنسان فيه ثواب ما عمل في الزمن الأول، وما أشبه هذين الزمنين بالدنيا والآخرة !!، فالدنيا دار عمل يسعى الإنسان ليدخر فيها ما يعينه على العيش الكريم في الدار الآخرة !! ولنقرأ الآيات معاً، ونتصور هذا المعنى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ (٣)

وإذا كان تشبيه الأعمال بالزرع قد ورد في هاتين الآيتين مجملاً، فإنه قد ورد مفصلاً في آيات أخرى، فنجد أعمال المؤمنين قد شبهت بالنبذة السليمة القوية الممتلئة بالرزق، ونجد أعمال الكافرين قد شبهت بنقيض ذلك...

فإنه ﷺ قد صور أعمال المؤمنين بقوله ﷺ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

(١) تفسير ابن كثير [٧ / ١٩٨]

(٢) التفسير الكبير - (٢٧ / ١٣٩)

(٣) [يوسف: ٤٧ - ٤٩]

(٤) [البقرة: ٢٦١]

وصور أعمال الكافرين بقوله ﷻ ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١).

٧. الإيمان في القلب كالزرع :

وهذا أمر قد صرح به القرآن في أكثر من موطن...
ومن هذه المواطن :

• قوله ﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (٢)

والمقصود بالكلمة الطيبة هنا شهادة التوحيد، والمقصود بالكلمة الخبيثة هنا كلمة الكفر،

وبيان هذا : أن الله ﷻ أودع في قلب كل عبد بذرة الإيمان، وبذرة الكفر، كما قال ﷻ ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾، ولا تنمو من البذرتين إلا إحداهما،

أما المؤمن فيتعهد بذرة الإيمان في قلبه بالعبادة ويروئها بالطاعات فينميها الله له حتى تقوى وتثبت وتثمر وتؤتي أكلها، وأما الكافر فعلى العكس من ذلك، قال ﷻ ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣)

(١) [آل عمران: ١١٧]

(٢) [إبراهيم: ٢٤، ٢٥، ٢٦]

(٣) [الأعراف: ٥٨]

على أن بعض الناس من ضعاف الإيمان قد يُغفلوا هذه البذرة التي في قلوبهم، فتقسو قلوبهم، وتصير كالأرض البور التي لا تنبت شيئاً، ويصدق فيهم الوصف بالبور الذي ذكره الله في قوله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ مَنَعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١)

• قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢١) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢)

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "في هذا المقطع من السورة لفتة إلى حياة النبات في الأرض عقب إنزال الماء من السماء؛ وانتهائها إلى غايتها القريبة، وكثيراً ما يضرب هذا مثلاً للحياة الدنيا في حقيقتها الزائلة وتوجيه لأولي الأبواب الذين يذكرون ويتدبرون ليتدبروا هذا المثل ويذكروه. وعلى ذكر إنزال الماء من السماء يشير إلى الكتاب المنزل من السماء كذلك لتحيا به القلوب وتنشرح له الصدور؛ مع تصوير موح لاستجابة القلوب المفتوحة لهذا الكتاب، بخشية وقشعريرة ثم لين وطمأنينة. وتصوير كذلك لعاقبة المستجيبين لذكر الله، والقاسية قلوبهم من ذكر الله" (٣)، وقريب من هذا

(١) [الفرقان: ١٨]

(٢) [الزمر: ٢١، ٢٢، ٢٣]

(٣) في ضلال القرآن [٦/ ٢٢٩]

المعنى ما أخبر به النبي ﷺ حين قال ﴿ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ (١)

• قوله ﷺ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وفي هذا الموطن ينبه الله ﷻ على أن القلب الذي يبعد عن ذكر الله ﷻ وعن شرعه يقسو، كالأرض التي لا يصيبها الماء فنتحجر، قال ابن كثير: " وقوله: { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } فيه إشارة إلى أنه، تعالى، يُليِّنُ القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحَيَارَى بعد ضلتها، ويفرِّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهثان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال " (٣).

(١) صحيح البخاري.

(٢) [الحديد: ١٦، ١٧]

(٣) تفسير ابن كثير ٢١ / ٨

٨. الدنيا كالزرع :

والمقصود : أنها في بدايتها ونهايتها، وما بين هذه وتلك، تشبه الزرع....
قال ﷺ : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ، وقال ﷺ : ﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (٣)

والصورة التي رسمتها الآيات الثلاث للدنيا واضحة، غير أن اللافت حقاً للنظر هو تصوير نهاية الدنيا في ختام كل مثل (حصيداً، هشيماً، حطاماً) وهذه التصويرات الثلاثة ما هي إلا أوصاف للمراحل المتتابعة لهلاك الزرع وفساده، وبالتعبية لهلاك الدنيا وفنائها..

غير أن الأولى صورة لهلاك الزرع وهو ما يزال متجنزراً في الأرض، والثانية صورة لهلاكه بعد اجتثاثه من الأرض ولا يزال موجوداً بماهيته، والثالثة صورة لضياع صورته بالكلية (٤)،

(١) [يونس: ٢٤]

(٢) [الكهف: ٤٥]

(٣) [الحديد: ٢٠]

(٤) راجع تعريف المصطلحات الثلاث في ((الكلمات المقابلة لمادة زرع وما في معناه))

ص ٩، ١٠، ١١.

وهي بعينها مراحل هلاك الدنيا، التي وردت بها نصوص صحيحة من القرآن والسنة، حيث تخرب الدنيا بفعل يأجوج ومأجوج، ثم يموت كل من فيها عند النفخ في الصور، ثم تبدل الأرض غير الأرض.

٩. البعث يوم القيامة كالزرع :

فالناس يخرجون من قبورهم يوم القيامة كما يخرج الزرع من الأرض، ووجه الشبه ليس في طريقة الخروج، إنما في طريقة الإخراج !! والمعنى: أن الإنسان بعد موته يتحلل ولا يبقى منه إلا عجب الذنب^(١) وهو جزء في جسم الإنسان في حجم البذرة الصغيرة، فكما يخرج الله من البذرة الصغيرة في الدنيا نباتا مختلف الأشكال والطعوم والألوان، كذلك يُخرج ﷻ من هذه البذرة الصغيرة (عجب الذنب) الناس بعد موتهم،

وهذه الحقيقة قد أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من مناسبة، قال ﷻ :
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢)

(١) كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ؓ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَتَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَتَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَتَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير باب (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَقْوَابًا) [٦/ ١٦٥] حديث رقم ٤٩٣٥، صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة باب ما بين النفختين [٤/ ٢٢٧٠]

حديث رقم ٢٩٥٥

(٢) [الأعراف: ٥٧]

فكيف كانت الثمرات قبل أن تكون على شكلها المعروف ؟
كانت بذوراً (الحبوب المعروفة).
وأين كانت هذه البذور قبل أن تنمو وتخرج إلى النور ؟
كانت مدفونة في الأرض.
فمن أخرجها ؟ ... إنه الله.

قس الناس في بعثهم على هذا !!!
فَبَعَثَ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ كإِخْرَاجِ الْبِذْرَةِ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا يَأْفَعُ.
وقال ﷻ ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١)
وقال ﷻ ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٢)

وقال ﷻ ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴾ (٣) والآيات في ذلك كثيرة.

١٠. في الآخرة يأخذ الناس صفات الزروع في الدنيا :

ذلك أن أي زرع في الدنيا إما أن يكون صحيحاً أو مريضاً، والصحيح منه
له أوصافه وعلاماته الظاهرة، وللمريض أيضاً علامات الظاهرة.

(١) [الروم: ١٩]

(٢) [فاطر: ٩]

(٣) [نوح: ١٧، ١٨]

وكذلك الناس في الآخرة منهم ناج ومنهم هالك، ولكل من الفريقين علامات أشار إليها القرآن الكريم^(١)، وهي عند التحقيق تتقابل مع علامات الزرع الصحيح والمريض في الدنيا.

أما أشكال الناس وأحوالهم في الآخرة فنستخلصها من آيات القرآن الكريم، وهي كما يلي :

قال ﷺ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (٢)

ومعنى باسرة : تغيرت ألوانها (٣)

وقال ﷺ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلِيهَا غَبْرَةٌ (٤٠) تَرَاهُهَا قَتْرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴾ (٤)

وقال ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) نَصَلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ أَنِيَّةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن زُرْعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ (٥)

(١) كما أشار إلى هذا الأمر (تمايز الناس بعضهم عن بعض) الحديث الذي في صحيح مسلم (كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتجليل في الوضوء) عن أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَدُودُ النَّاسِ عَنْهُ كَمَا يَدُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ. قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْتَ عَرَفْنَا ؟ قَالَ نَعَمْ. لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرُدُّونَ عَلَيَّ غَرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ هؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيَجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تُدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدَاكَ ؟ ﴾ انظر صحيح مسلم - (١ / ٢١٧) حديث رقم ٢٤٧.

(٢) [القيامة: ٢٢ - ٢٥]

(٣) تفسير ابن كثير [٢٨١/ ٨]

(٤) [عبس: ٣٨ - ٤٢]

(٥) [الغاشية: ١ - ٨]

وقال ﷺ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (١)

ومن هذه الآيات نلخص صفات الفريقين في الآخرة،
أما الفريق الناجي - جعلنا الله منهم- فنتمثل في أن وجوههم (نَاضِرَةٌ، مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ، نَاعِمَةٌ) وقد ثقلت موازينهم.
وهي علامات إذا وجدت في أي نبتة وصفت بالسلامة والصحة.
وأما الفريق الثاني - أعادنا الله أن نكون منهم- فتتمثل صفاتهم في أن وجوههم (بَاسِرَةٌ، عَلِيهَا غَبْرَةٌ، نَاصِبَةٌ، خَاشِعَةٌ).
وهي علامات إذا وجد شيء منها في أي نبتة كانت علامة مرضها وفسادها.

ولعلك تلاحظ معي أن أهل الجنة يمتازون عن أهل النار يوم القيامة بألوانهم، وأشكالهم، وأعمالهم (موازين أعمالهم)،
كما يمتاز الزرع الصحيح عن الزرع الفاسد في الدنيا بلونه وشكله وحمله!! (٢)

(١) [القارعة: ٦ - ٩]

(٢) للوقوف على أعراض أمراض النبات راجع كتاب أمراض النبات (ص ١-١٧) للدكتور:
جون شارلز ووكر ترجمة الدكتور محمود ماهر رجب وآخرين. ط: مكتبة النهضة
المصرية ١٩٦٦.

**المطلب الثالث...
مقارنة بين
أصناف النباتات وألوانها، وأصناف البشر وألوانهم.**

وأقصد بهذا العنوان الإشارة إلى قوله ﷺ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^(١).

وفيه إشارة إلى تعدد ألوان النباتات، وتعدد ألوان الناس... وإذا كان المقصود بالألوان في النبات الألوان الحقيقية - حيث إن منها الأخضر، والأبيض والأسود والأصفر والأحمر.. إلى آخره- والمعنوية - حيث إن منها الحلو والمر، ومنها اليابس والرطب، ومنها النقي والناضج.. إلى آخره- فإن الأمرين مقصودان في جانب الناس أيضا...

فالناس تختلف ألوانهم، ما بين شديد السواد وشديد البياض وما بينهما، كما قال ﷺ ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾، وقد أخرج ابن كثير عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أيصبغ ربك؟ قال: "نعم صبغا لا يُنفَضُ، أحمر وأصفر وأبيض"^(٢). وهي ألوان لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر. فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه. بل متميز من توأمه الذي شاركه حملاً واحداً في بطن واحدة!^(٣)

(١) [فاطر: ٢٧، ٢٨]

(٢) تفسير ابن كثير [٦/ ٥٤٤]

(٣) في ظلال القرآن [٦/ ١٥٠]

وكذلك تختلف طبائعهم ففي الحديث عند أبي داود والترمذي وغيرهما : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَتِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ » (١)

ورغم توحد أصل الخلق لجميع الناس إلا إنهم مختلفون !! شأنهم في ذلك شأن المزروعات، التي تسقى بماء واحد، وتنبت من أرض واحدة، بل قد تكون في شجرة واحدة، ومع ذلك تختلف أحجامها وطعوماتها، كما قال ﷺ ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢). والمعنى كما قال الألويسي رحمه الله : " في الأرض بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف فمن طيبة منبتة ومن سبخة لا تنبت ومن رخوة ومن صلبة ومن صالحة للزرع لا للشجر ومن صالحة للشجر لا للزرع إلى غير ذلك " (٣). وكذلك الناس !!.

وإني ليستبد بي العجب حين أتمعن قول الله ﷻ : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلًّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦)

(١) صحيح: سنن أبي داود [٣٥٨/ ٤] كتاب السنة باب في القدر حديث رقم ٤٦٩٥، والترمذي (٢٠٤ / ٥) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ٣ ومن سورة البقرة حديث رقم ٢٩٥٥.

(٢) [الرعد: ٤]

(٣) تفسير الألويسي [١٩٨/ ٩]

فَأُنْبِتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)
وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿١﴾ !!

إن الحديث عن أنواع الطعام وأشكاله في هذه الآيات، لهو حديثٌ عن أنواع
الناس وأشكالهم....

فغالب ما يستفيد منه الناس في حياتهم هو الحب لأنه طعامهم ؛ لذلك أفرد
بالذكر لكثرتة.

ثم العنب والقضب في آية واحدة، وهما مختلفان في الطبيعة، فالأول رطب
والثاني يابس.

ثم الزيتون والنخل في آية واحدة، وهما مختلفان في الطعم، فالأول مر
والثاني حلو.

ثم الحدائق الغلب أي التي يستظل بشجرها.

ثم الفاكهة والأب في آية واحدة، وهما مختلفان فالأول طعام الناس والثاني
طعام الدواب.

فكان الآيات -إذ جمعت المختلف من الأطعمة إلى بعضه- تشير إلى ما
يلي:

أولاً : وجود هذا الاختلاف بين الناس رغم تقاربهم ؛ لذا استحق بعضهم أن
يكون كريما في الدنيا وفي الآخرة، واستحق آخرون عكس ذلك، أو بعضه.

ثانياً : من النبات ما له ظل وثمر، أو أحدهما، أو لا شيءٍ منهما، وكذلك
الناس...بعضهم كالعنب والزيتون والنخل، له ظل وثمر، وبعضهم كالحب،

لا ظل له وله ثمرة، وبعضهم كالحدائق الغلب، له ظل ولكن لا ثمرة له،
وبعضهم كالقضب والأب. لا ظل له ولا ثمر.

ثالثاً : من النبات قصير العمر الذي لا يترك أثرا في الأرض حين يخلع
منها، ومنه المعمر الذي يؤثر في الأرض في حياته أو بعد اجتثاثه،

(١) [عبس: ١٧ - ٣٢]

وكذلك الناس... منهم من لا يكون له أثر في الدنيا، لا حياً ولا ميتاً (كالحب، والأب)، ومنهم من يؤثر في من حوله فيظل في ذاكرة الناس (كالنخل والزيتون).

رابعاً : من النبات ما لا ساق له فيظل يزحف على الأرض، ومنه ما له ساق يتناول بها حتى يُرى للناظرين... وكذلك الناس... منهم حامل الذكر الذي يعيش مجهولاً ويموت مجهولاً، ومنهم من يكون ملء السمع والبصر.

خامساً : من النبات ما هو ضعيف لا يثبت أمام الهواء، وسرعان ما يخلع من الأرض، ومنه ما هو قوي يستطيع مواجهة الأعاصير الشديدة وهو في مكانه،

وكذلك الناس في تعرضهم للمحن... منهم من يهتز ويتزلزل وسرعان ما يتراجع عن مكانه، ومنهم من لا تزيده المحن إلا صلابة وقوة. بهذه الصورة أفهم هذه الآيات، وأعتقد أنها ينبغي أن تفهم هكذا.

إن الله ﷻ تحدث عن الناس في القرآن الكريم حين تحدث عن الزرع فكل إنسان موجود في القرآن الكريم في صورة خضراء، هي لون الزرع الذي يتصف بصفاته ويأخذ طباعه.

فراجع القرآن وانظر في المزروعات التي وردت فيه، ففي أيها ترى نفسك؟ وأيها تحب أن تكون مثله؟ .

الخاتمة

وبعد، فلا يزال القرآن جديداً لا يخلق على كثرة الرد، ولا تزال أمواج موضوعاته تتابع في بحره الزاخر، ولا تزال سفن كثيرة تبحث عن ساحل النهاية فلا تجدها، ولقد كان فضل الله علي عظيماً أن أتم الله ﷺ - بفضلته- لي هذا البحث، فله الحمد في الأولى والآخرة،

ولست أدعي أنني عرضت لكل جوانب الموضوع، فالنسيان والخطأ وارد على البشر،

كما لا أدعي أنني أصبت مراد الله ﷻ من كلامه أو أتيت بما يشفي الصدور في كل ما تكلمت به، حاشا لله فلا يعلم مراد الله ﷻ إلا الله.

وقد خرجت من خلال هذا البحث بعدة نتائج يبدو بعضها بالنسبة لي- جديداً، وإن لم يكن كذلك عند أهل التخصص، والبعض الآخر ليس كذلك وإثباته هنا لوقوفي بنفسني -من خلال البحث- على دليله، وليس من رأى كمن سمع،

أولها : لا تكرار في القرآن الكريم فكل كلمة - وإن تقاربت في معناها مع أخرى- تستقل بمعنى خاص لا يوجد في سواها، وقد ظهر ذلك من خلال تتبع مادة البحث (زرع) وما في معناها (نبت، ثمر، أكل، جنى..) وكيف أن لكل منها معنى خاصا بها.

ثانياً : كل موضوعات القرآن الكريم لها أهمية..

والقرآن منزّه عن أن يعرض لموضوعات لا تتعلق بما يصلح دنيا الناس، فهو كتاب هداية وتشريع.

ثالثاً : التلازم الواضح بين الزرع والإنسان في الدنيا والآخرة.

رابعاً : البعث يوم القيامة حق، ونرى مثاله في الزرع يتكرر أمام أعيننا، إذ نأخذ من النبتة جزءاً معيناً نضعه في التربة فيخرج منها النبات بأمر الله- مرة أخرى، وكذلك البعث، يبقى من الإنسان بعد موته جزء صغير لا يبلى، يكون في القبر، فيخرج الله منه الإنسان مرة أخرى.

التوصيات :

يوصي الباحث بضرورة تصحيح وجهات الباحثين في التفسير الموضوعي، بربط الموضوعات القرآنية بواقعنا المعيش، فالقرآن ليس كتاب حكايات أو موضوعات كلامية فقط، إنما هو كتاب هداية ودستور حياة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مراجع البحث ومصادره

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- تفسير ابن كثير.
- ٣- تفسير الألوسي.
- ٤- تفسير في ظلال القرآن.
- ٥- سنن أبي داود.
- ٦- سنن الترمذي.
- ٧- صحيح البخاري.
- ٨- صحيح مسلم.